



تمر محنة الشعب السوري حالياً في الوقت الدولي الضائع، بين إدارتين أميركيتين، رغم أن سياسات واشنطن، كما سياسات موسكو، باتت واضحة ومتّسقة، ولا يكدر انسجامها سوى الصمود الملحمي الأسطوري للشعب السوري بمدنييه وعسكرييه المناوئين للنظام.

الفارق أن روسيا تريد فعلاً رؤية النظام قادراً على حسم الموقف لمصلحته، تمدّ بالأسلحة أملأاً بأن يمضي بوحشيته إلى أقصاها علّه يفلح أخيراً في تغيير «مناخ» الأزمة فيصار عنئذ إلى الضغط على المعارضة لترضخ وتحاوره.

أما الولايات المتحدة فلم تعد ترغب في تقدم المعارضة إلى حد أنها لجمت كل مساعدة يمكن أن تصلها، ويتبّع من خطاب باراك أوباما يوم تنصيبه ومن شهادة وزير خارجيته الجديد جون كيري أن الأولوية الأميركيّة لإيران لا لسوريا.

أما أولوية إيران، في أي اتفاق محتمل بينها وبين أميركا، فهي إبقاء سيطرة النظام على كل سوريا أو على جزء منها. دعكم من الكلام المجاني الذي أدلى به ديمتري ميدفيديف في دافوس، فهو مخصص للمناورة ولا يعني إطلاقاً أي تغيير، رغم قوله إن فرص بشار الأسد للاحتفاظ بالسلطة «تضاءل».

فال موقف الحقيقى هو ما يعلنه سيرغي لافروف.

وقبل ساعات كان نائب رئيس حكومة دمشق قدرى جميل يردّ مسبقاً على ميدفيديف بأن النظام لا يزال يتلقى أسلحة من

روسيا.

فـلـمـاـذاـ تـسـلـيـحـ نـظـامـ تـتـضـاءـلـ فـرـصـهـ لـلـبـقاءـ،ـ وـمـعـرـوفـ سـلـفـاـ أـينـ تـسـتـخـدـمـ الأـسـلـحةـ وـكـيـفـ؟ـ

لا مبالغة، إذًا، في اتهام روسيا بأنها متواطئة مع المجرم وشريكه في قتل السوريين، بل تستخدم كل نفوذها الدولي لتحصّنه من أي محاسبة في المحكمة الجنائية الدولية.

قبل شهور كانت اللغة «الشبيحية» جعلت لافروف يردّ مراراً أن ما يفاقم الأزمة ويحول دون الانتقال إلى حل سياسي هو الدعم المالي والعسكري الذي تقدمه دول إقليمية إلى المعارضة، لكن أفضل ما سُمع من ميدفيديف أن الأسد «ارتكب خطأً فادحاً قد يكون قاضياً» عندما تجاهل مطالب المعارضة السلمية في بدايات الثورة.

هذا الخطأ تبعته سلسلة خطايا لم تعرف بها موسكو وفضلت مساندته رغم أن فرص جدواها تتضاءل أيضاً. لكن، ها هي واشنطن استطاعت أن تفرمل كل دعم للمعارضة، تلبية لشروط الروس والنظام، وتسهيلًا لـ«الحل السياسي»، فأين هذا الحل؟

أهو في الخطة التي عرضها الأسد في خطابه الأوبرا؟

هذا مجرد عبث دموي، وهذه «الخطة» التي اعتبرتها موسكو «أساساً جيداً للحل» هي بدورها في سياق «الخطأ الفادح» الذي أشار إليه ميدفيديف.

أم أن الحل ممكن فقط إذا استسلم الشعب؟

وفي هذه الحال ما الحاجة إلى موسكو، وطالما أنه لن يستسلم فما الحكم من الاعتماد الأميركي على روسيا. لم يستطع أحد أن يشرح للسوريين ما الذي يجعل روسيا ذات صفة في «قيادة» حل سياسي أو حتى في المساعدة (مساعدة من؟)

على إطلاقه، فهي لا تحاور سوى النظام ومن يتعامل معه أو يهادنه، ثم أن تراها الشيشاني أو حتى الروسي ليس بــراـقاـ بــديـمـوـقـراـطيـتهـ.

استطراداً، كيف يمكن للقتلة الثلاثة، النظام وحليفه الروسي والإيراني، أن يكونوا عــرــابــيــ الحلــ؟ـ

وما داموا لا يطرحون سوى خطط إنقاذ النظام وإبقاءه، فــماـ هوــ دــافــعــ أمــيرــكاــ لــتــرجــيــحــ حلــولــ مــكــشــوــفــةــ كــهــذــهــ؟ــ..ــ

هذه الأطراف جميعاً مطالبة بالإفصاح عن نياتها، فلا حلفاء النظام حلفاؤه، ولا أصدقاء الشعب أصدقاؤه.

إنهم يتعاملون جميعاً مع سوريا على أنها وقعت، وأن خريطتها آيلة إلى تغيير جرافي، لذلك لا بد لهم أن يوضّحوا ماذا يعنون فعلًا حين يتحدثون عن حلول.

أهو تقاسم للنفوذ في ما بينهم، أو تقسيم لسوريا بذرعة حماية الأقليات والهؤول دون المذايحة، أو مجرد حرب على تنظيم «القاعدة»؟

من يبحث عن حل يحافظ على وحدة سورية شعباً ودولةً وجيشاً وأرضاً ومؤسسات - على افتراض أن هذا هدف «التفاهم» الأميركي - الروسي - لا بد أن يكون قد تفطن لاستخدام كل الوسائل لإلزام النظام الامتناع عن القتل بدل إعطائه الفرص لاستنساخ مجازر راوندا وكمبوديا بكل همجيتها، ولردعه عن التدمير المنهجي للعمراـنـ والـاقـتصـادـ كماـ لوـ أنهـ عــدــوــ مــحتــلــ أوــ أــنــ هــذــهــ المــدــنــ لــمــ تــكــنــ يــوــمــاـ مــدــنــهــ.

بل الأهم أن من يبحث عن حل، الآن وبعد كل هذا الخراب، لا بد أن يتقطّن إلى أن النظام انتقل إلى المرحلة الأكثر قذارةً في مؤامره على سوريا وشعبها: فبعد قتل سلمية الثورة، واستباحة البيوت والأعراض، واجتياح المدن، واستفزاز العسكرية وفرضها، ثم الاستنجاد بالإرهاب، هــاـ هوــ يــدــفــعــ بــمــاـ يــســمــيــ «ــجــيــشــ الدــفــاعــ الشــعــبــيــ»ــ لــلــشــروعــ فيــ إــشــعالــ تــدــريــجيــ لــ«ــالــحــربــ الأــهــلــيــةــ»ــ.

ماذا يعني ذلك؟

خلافاً لما يتظاهر به النظام، ولأن عدم انتصاره هو هزيمة كما أن عدم هزيمة الشعب هو انتصار فإن الذهاب إلى هذا الخيار يشي بيساره من أي حسم يهدى إلى الحلفاء الروس أو الإيرانيين، ذاك أن أحداً لا ينتصر في الحرب الأهلية. لكن «ميزة» هذه الحرب أنها تتيح «التطهير العرقي/ الطائفي» وتحتاج النظام فرصة رسم الحدود التي يريد لها لـ «الدولة العلوية» ومن أجلها يقاتل الآن في حمص ودمشق.

والأهم أن «حرب المهزومين» تبرر فتح خريطة البلد لإعادة النظر في توزع السكان والمناطق، خصوصاً مع استعفاء الحلول المبنية على «توافق وطني».

لا شيء يمكن توقعه من حرب تطول وتُرغَم إرغاماً على أن تصبح «أهلية» سوى السعي إلى التقسيم. هذا خبر جيد لإسرائيل وإيران، مع اختلاف دوافعهما.

وإذا كانت الأولى باتت تُسمع صوتها في الأزمة السورية فقط من باب «استخدام السلاح الكيماوي»، فإن الإشارات التي تطلقها الثانية باتت أكثر وضوحاً في تحديد أهدافها.

فعندما تحدث الأمين العام لـ «حزب الله» عن تصاعد «مخاطر» التقسيم في المنطقة لم يكن يحذر مما يرفضه وإنما كان يبلغ من يعندهم الأمر بأن إيران باتت جاهزةً لقبول مثل هذا الاحتمال، في سوريا وحتى في العراق، بعدما أبدت سابقاً رفضاً مبدئياً له حتى لو كان له أن يحصل في إطار «الفيدرالية».

هناك خيار واحد مقبول، بالنسبة إلى إيران، وهوبقاء في سوريا، أكان ذلك عبر سيطرة كاملة للنظام على كل سوريا مهما بلغت الكلفة الدموية أو عبر سيطرته على جزء من سوريا.

فالحرب الدائرة حالياً هي، عند إيران، حرب شيعية - سنية أصبح لها امتداد عراقي وإذا اقتضت المصلحة يمكن أن يكون لها امتداد لبناني، بل تركي.

وبالتالي لم يبق لإيران من هذا النظام السوري سوى بعده المنهبي، وهذا سبب كافٍ لأن تعلن أن أي اعتداء عليه بمثابة اعتداء عليها.

ليس صدفة أن الجماعات الغربية التي طلب منها بعض أطراف عائلة الأسد درس سيناريوات إقامة «الدولة العلوية» يوجد في مجالس إداراتها يهود قربون من إسرائيل.

وليس صدفة أن يُنقل عن هذه الجماعات أن تلك «الدولة» يمكن أن تعيش فقط بتوافق إيران وإسرائيل على ضمانها حمايةً واستثماراً وتسويقاً دولياً.

فمثل هذا التوافق، غير المستبعد، يمكن أن يستدرج ضماناً روسيّاً - أميركيّاً ويسهّله.

كانت دراسات كثيرة أشارت إلى أن تفتت المنطقة دوبلاتٍ من التمويلات والمشاريع التي لا تغيب عن التخطيط الإسرائيلي.

والآن أصبحت إيران تغازل هذه الاستراتيجية طالما أنها تلبي متطلبات نفوذها.

المصادر: